الأنا والأخر في نفحات أنثى شرقية لحورية آيت إيزم

الدكتورة: فاطمة الزهراء بايزيد
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكـــرة

شاءت الأقدار يا سيدتي
ان تمطري..... مثل السحابة
فوق ارض مابها قطرة ماء
وتكوني زهرة مزروعة عند الخط الاستواء
وتكوني صورة شعرية
في زمان قطعوا فيه رؤوس الشعراء
وتكوني امرأة نادرة
في بلاد طردت من أرضها كل النساء

– يتفاعل نص((نفحات أنثى شرقية)) بهندسة كتابته ليجعل القارئ يغوص من الوهلة الأولى في متاهة الحزن ليعود ويسفر من جديد على ارض بقايا حلم متجدد، وينبثق من ذات شاعرة اعتصرت الحروف واختزنت الذاكرة لتعرف كلماتها ببساطة العواطف ودفق المشاعر حتى تعدو خيطا شفيفا للقارئ وتنحصر زاوية النظر في محور الرئيس اشتغلت عليه الشاعرة هو الانا و الاخر، وكل ذالك لايخرج النص عن ثنائي(الألم والأمل)

– ان ذات حورية آيت إيزم في الديوان يقابلها آخر يتمثل في(الأب، الأخ، الحبيب، الزوج)

((فحاجة المرأة للكتابة استدعاها الفارق المفاهيمي والعجمي بينهما وبين الرجل الذي كان يستكفيها وصف حاجاتها إلى الكتابة، ان هذه الهوة التي جعلت المرأة لا تكتفي

بشهامة العشق ولا بالثقافة المأساوية التي ينتجها الرجل حيث القليل من المتعة والكثير من الرقابة والعنف))

ان الكتابة هي انتقال من الواقع إلى الحلم لتثبت وجودها وفق أبجديته 4ص قصيدة في الديوان به 94 صفحة كله ألم و أمل

– ص 1 –

وانطلاقا من مقولة أوسكار وايلد خلق الإنسان اللغة ليخفي بها مشاعره((فإن العلاقة بين الأنا والأخر لا ترمي قواعدها إلا عن طريق استعاب الذات التي تحقق ضمنيا من خلال التعامل مع الآخرين ومحاولة فهمهم))

حيث يتحول الرجل من الذات إلى الموضوع فتنتقل((اشتكالية الأنا والأخر عن فضائها الفلسفي مجرد والغائم الى اخر واقعي يلوذ بجماليات تتعدد فيها الأصوات))

بينما هي الأخر في نص حورية آيت إيزم على مستوى((الذاكرة، الثقافة مزيج بين قدرة العقل وسلطة اللغة))

إن الكتابة لديها هي ذلك الوجع الذي ظل يسكن أعماقها ليسد نتوءات الجراح النازفة والتي ظلت تغيبها أوتقصيها))

تواشج الحوار في النص الشعري كثيرا لينسج لنا أيقونة يتحرك في حدودها زمن ماضي وآخر آت وذلك من خلال قصيدتي(قال) ص 64 و(طيفك) ص 61 وكذا كلا من(قال وقلت) ص 70

و(يتأجج قلبي) ص 38 وكل هذه القصائد كما هي فيها الأخر مع الذات قال.. جاوريني والى قوافيك ضميني.(ص 63)

وفي موضع آخر تذكر(لا أنا ولا احد... يشبهك أنت

كل القصائد ..... فيك اكتبها) ص 64.

ثم يصبح هذا الآخر هو كل قصائدها التي تكتبها ليكون الآخر مواز للذات الشاعرة(اكتب وأنت القصيد وأبياته ولأجلك

أعتكف دهرا.)) – الديوان ص 64

فلا ملاذ للهرب أو الفرار منها) هيهات أن تغادر قلاعي أو تنجو من حروفي ويراعي.)) الديوان ص 70 .71.

أعطت الشاعرة في هاته القصيدة الموسومة بـــ (قال وقلت) مساحة كبيرة للآخر ليصبح مع الذات الشاعرة موضوعا واحدا.

شكل الأخر(الرجل) بكل صوره حبيبا غير مناف للذات فهو يرافقها من بداية النص إلى نهايته، ولان الشاعرة اشتغلت على شيمة(الحب) فهي تحاول بأنوثتها الدينامية المبدعة ان تفهم الأخر حتى يصبح لهذا أنا ثانية تنوب عن جراحاتها، إني أنا الشاعرة لا تبقي الأخر ولا تنكره، بل تتمناه معه وتتصالح لتجعله بطلا أسطوريا في الحب.

إن فضاء النص توزع على حقلين

1- حقل الألم 2- حقل الأمل

وتنوع تشكل الآخر أيضا في متن النصوص بين الأخر الموازي

2- الأخر المعادي، وذالك من خلال معالجتها موضوع(الحب) تسافر الذات الشاعر في البداية بقصيدة(أسافر) إلى الآخر المقابل أو الموازي لها لتتما هي وذاته في قولها(أسافر إليك مرغم الحظي.... شدني الوجد وبعض المنى .... وبين حروفك تناثرت مشاعري) (الديوان، ص 11)

ثم يظهر الأخر جليا في قصيدة(ظلم المسافر) فتتقمص دوره لتنوب عنه بالكلام وتتوحد الذات بالأخر ليصبح موضوعا وهما يشكو حزنه ويبثه على لسان الأخر(استنشق ما تبقى من اثر عطرها على معصمه.... ابتسم أغمض عينيه حتى يحافض على صورتها لوقت اطول)) الديوان، ص 17

وهكذا يسير النص لدى الشاعر لتعيش حقيقة أخرى فتائل عن وجود معلنة خوفها من الإجابة فتعتري النص عن الأخر ليرسم دوره عابرا كغيره من المارة.

وهنا يأتي الأخر معاديا للذات في قصيدة(اجبني و كفى)

في قولها:

أسافر إليك متعبة الخطى... خرافة أنت أم حقيقة مغيبة، ... الخوف ولا أدري لم... هل لديك إجابة أم أنك فقط عابر ككل العابرين من هنا.» الديوان ص 21.

ويظل هذا الآخر غائبا في قصيدة(حين غيابك) وبغيابه تجعل ذاتها غائبة، متلاشية تماما حتى تتباهى الأمكنة والأزمنة وتصبح واحدة لديها، إنه الأب الذي غيبه الزمن فغابت الشاعرة في هذا الآخر

« حين غيابك ضاع مفتاح بيتنا... ما عدت أعرف حتى من أنا... أتلفت ذاكرتي... واندثرت دفاتري... آه يا أبي وددت اللحاق بك واختصار مسافات الغياب.«(الديوان، ص 22)

وتمثل هذا الغياب في" سمة الألم" التي اشتغلت عليها الشاعرة بكثرة في قصيدة(الألم) بقولها:

« يؤلمك مني... حرف كتبته... ولا يؤلمك قلب ظلمته... « الديوان ص 52

ظل الآخر موازي للذات(الأنا) حتى في غيابه فهي لا تكاد تكتب حرفا إلا وقد كان يرافقها حرفا، تفتش عنه، إن تلاشى لتواجده من جديد ففي قصيدتها(بقايا إنسان) تقول:« بحثت عنك بداخلي... فلم أجد غير بقايا سجائرك وبعض الدخان... هي أنثى تبحث فيك عن إنسان... أمواج متلاطمة وحروف آثمة.» الديوان ص 54

وفي قصيدتها(لست أنا) تذكر« أنا لازلت أبحث عن أنا هو لا يشكل لي إضافة... فقط مجموعة أعباء... ربما أناجيه في حرفي... لا يستطيع أن يستغني عني أو يغيبني... من يومياته أنا ككل الثوابت لديه سيجارة... يحتاجني ويحتاجني ثم يغيب ليعود معاتبا لي... هكذا هو و هكذا أكون أنا.»

الديوان، ص 42.

وهنا تؤكد أن الآخر يبقى موازي للذات الأنثوية مهما حاول هذا الأخير أن يلقي بذاتها بعيدا.

« هل تعلم الفرق بينك وبينهم... عندي أنا... أنت كالياسمين أصنع منك إكليلا أضعه فوق الجبين.» الديوان، ص 59.

يفرض نص نفحات أنثى شرقية أنا الأنثوية على معظم قصائد الديوان ولكن ليس كبديل عن الآخر وإنما في تناهي يحمل تناقضات وهموم مشتركة بين(الأنا والآخر) كلها آلالام وآمال تتناوب في الدور بين المناجاة والحضور، وهذا ما نلمسه في الموضوع (الحب) وكذا في العناوين الفرعية التي جاءت تحمل في طياتها متنفسا آخر للشاعرة.

« حيث لا هو ولا أنا ... حيث بقايا الحديث وبقايا الألم تتنفس.» الديوان، ص 84.

أحدث نصها توازنا نفسيا بين الأنا الشاعرة والآخر الموازي ولا غرابة وأن الشاعرة تحمل في ذاتها اعتزازا بالنفس، واعتزازا بالرجل مهما اختلفت صوره، وهذا ما لمسناه من خلال تداخل أو تناوب الأنوات(الأنا، والآخر) في الديوان

توجه الشاعرة خطابها إلى الآخر نصفها المذكر الذي يدفعها إلى الكتابة حيث « توظف اللغة توظيفا اتصاليا حيويا بالخطاب من خلال الضمير الثاني، ضمير المخاطب... باستحضار الآخر حتى تصل درجة التواصل إلى التجريد بانقسام الذات على نفسها إلى مرسل ومتلق أيضا ليتحول الحديث الأحادي إلى حوار ثنائي لكنه من طرف واحد تتغلب فيه الذات على العزلة وتشخص ذاتها مبدعة ومتلقية وموضوعا للإبداع.«23

« تتحول الكتابة من الذات إلى رهان تحاول من خلاله تعويض ما خسرته من رهانات الوجود بغية الشفاء من إنجراحات الأنوثة.» 24

وهي حين تستعيد ذكرياتها تتوج(الأنا) في أسلوبها وتجعله بؤرة مركزية تنسج الكتابة من خلالها... الذات الأنثوية... 25

إن مفهوم الآخر وتكوينه لدى الفرد لا ينشأ بمعزل عن ذاته فهو ينشأ من أحشائه سواء كان هذا الآخر هو المفرد اللصيق والحميم(أنت) أو الآخر الجمعي القريب(نحن)... ويعتبر الفرد مفهوم الأخر بمثابة تقويم لذاته من خلال الآخرين حيث يقوم الإنسان بعملية تقويم ذاته وللآخرين وللعالم الذي يعيش فيه.» 26.

تمظهرت الذات الشاعرة مع الآخر بصورة التماس التوافقي أكثر من التماس التنافري عبر مظاهر الحب فجعلت الآخر صورة موازية لأناها الأنثوية وهذا ما أحدث توازنا عاطفيا لدى الشاعرة.

الـــهـــــوامش:

1. عبد النور إدريس، الكتابة النسائية، حفرية في الإنساق الدالة الأنوثة، ... الجسد، الهوية، ص 05.
2. المرجع نفسه، ص 64.
3. أحمد الشريقي– الدوحة– الأنا والآخر... المبدع سيكتشف نقيضه من موقع http:// www.aljazeera.net
4. بايزيد فاطمة، الكتابة الروائية السنوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، دكتوراه 2012، جامعة باتنة، ص 10.

5. وجدان عبد الإله الصائغ، الأنثى ومرايا السرد في القصة السعودية، مجلة الرافد الثقافية 72، الشارقة ع 70، جويلية 2003، ص 09.
6. حورية آيت إيزم، نفحات أنثى شرقية، ص 64.
7. الديوان، ص 61.
8. الديوان، ص 70.
9. الديوان، ص 38.
10. الديوان، ص 63.
11. الديوان، ص 64.
12. الديوان، ص 65.
13. الديوان، ص 70، 71.
14. الديوان، ص 11.
15. الديوان، ص 17.
16. الديوان، ص 21.
17. الديوان، ص 22.
18. الديوان، ص 52.
19. الديوان، ص 54.
20. الديوان، ص 42.
21. الديوان، ص 59.
22. الديوان، ص 84.
23. سيد محمد السيد قطب، في أدب المرأة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط 2000، ص 102.
24. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية، المغاربية للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2003، ص 38.
25. بايزيد فاطمة، الكتابة الروائية السنوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، ص 227.
26. خضر عباس، الأنا والآخر بين الفلسفة والسيكولوجيا، موقع http://drabbass.wordpress